السلسلة: الظروف الماديّة والفكريّة للعلوم في المدينة الإسلامية

الفصل 1 | العلمُ والفلسفة في العصر الهلنستيّ المتأخّر

المقال 1 | فكرة عامة عن الفصل 1

هذا الفصل، والذي هو من تأليف غيرهارد إندرس (Gerhard Endress)، يشرح الأرضية الفكرية التي ورثها المسلمون قبل أن تبدأ حركة الترجمة والتأليف عندهم. الفصل ينقسم إلى ثلاثة محاور رئيسية كما يوضح ملخصه: (1) المدارس اليونانية، (2) الفلسفة والعلوم عند نصارى الشرق (السريان)، (3) التراث الإيراني والهندي.

الفكرة العامة

حين ظهر الإسلام، لم يجد «علمًا يونانيًا نقيًا» بل وجد تراثًا هلنستيًا متأخرًا ومتحوّلًا، مرّ عبر قرون من التصفية والتلخيص والشرح، ووصل إلى العرب عبروسطاء كثيرين (سريان، فرس، هنود) قبل أن يصل إليهم مباشرة من اليونانية. فالمسلمون لم يرثوا «اليونان» بل ورثوا صورة اليونان كما شكّلتها العصور المتأخرة.

المحور الأول: المدارس اليونانية

الفلسفة والعلم: صراع وتكامل

يوضح الفصل أن العلاقة بين «الفلسفة» و«العلوم المتخصصة» (كالرياضيات والطب والفلك) لم تكن علاقة تبعية بسيطة، بل كانت فيها منافسة: الفلاسفة (خصوصًا الرواقيون) رأوا أنفسهم أصحاب «فن الحياة» الشامل؛ الأطباء (وعلى رأسهم جالينوس) ادّعوا أن الطب أيضًا فلسفة؛ وعلماء الرياضيات والفلك (خصوصًا بعد بطليموس) رأوا علمهم هو الأعلى يقينًا لأنه برهاني كالهندسة.

الأفلاطونية المحدثة

مدرسة فلسفية مهمة جدًا (أفلوطين وأتباعه) مزجت بين البحث الرياضي والتأمل الديني، وأثّرت لاحقًا تأثيرًا كبيرًا في الفلسفة الإسلامية، خصوصًا عبر كتاب منسوب خطأً لأرسطو اسمه "ثيولوجيا أرسطوطاليس" وهو في الحقيقة نصوص لأفلوطين.

من أثينا إلى الإسكندرية

أُغلقت الأكاديمية الأفلاطونية في أثينا سنة 529م بأمر الإمبراطور جستنيان. انتقل الثقل الفكري إلى الإسكندرية، التي بقيت المركز الأهم للعلم والفلسفة. وفيها طوّر العلماء (مثل أمّونيوس) منهجًا معينًا في شرح كتب أرسطو، انتقل لاحقًا إلى العلماء العرب.

نقطة مهمة: خرافة إحراق مكتبة الإسكندرية

يؤكد النص صراحة أن ادعاء إحراق العرب لمكتبة الإسكندرية "خرافة لا أساس لها" (انظر المقال المستقل التالي لتفصيل هذه النقطة وتوثيقها).

المحور الثاني: التراث السرياني (نصارى الشرق)

هذا المحور يشرح كيف انتقل العلم اليوناني عبر لغة وسيطة هي السريانية قبل أن يصل للعربية: انقسمت الكنيسة الشرقية إلى نساطرة (في بلاد فارس، مدارس نصيبين وجنديسابور) ويعاقبة/مونوفيزيين (في الغرب السرياني)؛ وكانت المدارس الدينية (كمدرسة الرُّها) تُدرّس المنطق الأرسطي كمقدمة للاهوت؛ وبرز مترجمون سريان كبار مثل سرجيوس الرُّهاوي الذي نقل أعمال جالينوس، ويعقوب الرُّهاوي، وثيوفيل الرُّهاوي. والنقطة الأهم: هؤلاء السريان شكّلوا الجسر الذي عبر عليه العلم من اليونانية إلى العربية، فكثير من المترجمين العرب الأوائل (مثل حنين بن إسحاق) كانوا نصارى يتقنون السريانية.

المحور الثالث: التراث الإيراني والهندي

في بلاط الأكاسرة الساسانيين (خصوصًا كسرى أنوشروان) استُقبل الفلاسفة اليونانيون بعد إغلاق أكاديمية أثينا. تطور علم التنجيم الساساني بمزج عناصر يونانية وهندية معًا. من فارس جاءت للعرب أشياء مهمة: نظام تقسيم العالم إلى أقاليم سبعة، وجداول فلكية مثل "زيج الشهريار"، وكتاب "كليلة ودمنة". ومن الهند جاءت الأرقام الهندية (المعروفة خطأً بـ"الأرقام العربية") والنظام العشري، ومعارف في الفلك والطب والصيدلة.

الخلاصة التي يريدها مؤلف الفصل

الرسالة الأساسية للفصل: العلم الذي وصل إلى العرب لم يكن يونانيًا خالصًا، بل هو مزيج معقّد من: (1) تراث يوناني متأخر ومُعاد تنظيمه، (2) تراث سرياني نصراني توسّط عملية النقل، (3) تراث فارسي وهندي أضاف عناصر أصيلة خاصة به (خصوصًا في الفلك والتنجيم والحساب). وهذه الروافد الثلاثة، حين التقت في الحضارة الإسلامية الناشئة، لم تُنقل كتلة واحدة متجانسة، بل جاءت متفرقة عبر قنوات مختلفة، وهذا ما سيفسّر لاحقًا طبيعة حركة الترجمة وتنوعها.

المصدر الأصلي: مقتبس ومُعَدّ عن فصل "العلم والفلسفة في العصر الهلنستي المتأخر"، بقلم غيرهارد إندرس (Gerhard Endress)، ضمن المجلد الثالث من موسوعة "تاريخ العلم"، الصادرة عن معهد الموسوعة الإيطالية (تريكاني) 2002، بإشراف رشدي راشد. وهو جزء من الموسوعة التي تُعِدّ دار الرّبّان للنشر حاليًا لترجمتها ونشرها بالعربية كاملة.

العلم والفلسفة في العصر الهلنستيّ المتأخّر

https://arsco.org/comm/comm/1

https://arsco.org/